

صورة الفتى الجاهلي:

لقد كشف الشعر الجاهلي صورة عن الفتى الجاهلي المثل رسم ملامحه شعراء الجاهلية.

إن الصورة المرسومة للفتى الجاهلي:

- منشودة : فهي مرسومة قصد دعوة الناس إلى تمثل هذه الصورة و ترسم صاحبها في مستوى القيم والسلوك (الوظيفة التربوية والتعليمية للشعر الجاهلي)
- موجودة نسبيا : فالشعر الجاهلي يستقي مادته مما هو موجود في تلك البيئة و تلك القيم التي هي حلية الفتى الجاهلي موجودة و لكن اجتماعها في هذا الفتى يجعلنا أمام نحت لصورة مثالية نموذجية.
- > إن هذه الصورة المنحوتة لهذا الفتى تعكس القيم الجماعية فالشعر خزان القيم يستقي مادته من واقع البيئة.
- إن صورة الفتى الجاهلي المرسومة في أشعار الجاهليين تعكس تركيزا على مجالين هما مجال السلم ومجال الحرب.

القيم الحربية في الشعر الجاهلي:

- تمثل الحرب أمرا هاما في حياة الجاهليين فأيام العرب قد تبينها بوضوح في الشعر العربي و في كتب التاريخ و هي حروب لها أسباب موضوعية (التنارع على منابع المياه والمراعي / القطعان / السطو / الشرف...) فالجاهلي يخوض صراعا محتدما من أجل البقاء وهذا ما يجعل فلسفة القوة أمرا يتمثله الفتى الجاهلي في كل ما يسلكه.
- وهذه الحروب كانت سببا في أن نسم الشعر الجاهلي بهذا الطابع التاريخي الوثائقي والتسجيلي فقد قيل : الشعر ديوان العرب.
- ومن هذا المنظور كان الشعر دفاعا عن القبيلة أمام أعدائها و تخليدا لأمجادها وانتصاراتها و إشادة بأبطالها.
- لقد احتفى الشعراء الجاهليون بالقيم الحربية فاحتلت قسما هاما من أشعارهم فهذا زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان ببراعته الحربية فيقول:

أليس بضراب الكماة بسيفه وفكاك أغلال الأسير المقيد

ولقد أشارت الخنساء إلى فروسية أخيها صخر و ذكرت توظيفه لهذه البراعة لغاية حماية أبناء قبيلته فقالت :

حامي العرين لدى الهيجاء مضطلع يفري الرجال بأنياب و أظفار

و من القيم الحربية الحديث عن الشجاعة فالفتى الجاهلي يتغنى بشجاعته و إقدامه و عدم خوفه من الموت كما هو الحال في قول عنترة:

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتألمون كررت غير مذمم



فعتبرة أشار إلى خوضه المعارك دون تردد ودون تحميس من أحد وهو بذلك يبرز تفوقه على فرسان قبيلته في مستوى الفروسية والأمر كذلك نتبينه من خلال الحديث عن حمايته لفرسان قبيلته في ساحة المعركة حين قال :

إذ يتقون بي الأسنة لم أحم عنها ولكني تضايق مقدمي

فالشاعر يفتخر بأنه لا يحمي الضعفاء من أبناء قبيلته ولا أطفالها وعجائزها فقط بل يفتخر كذلك بأنه حارس الفرسان مما يعكس تفوقه في ساحات القتال و بطولته التي لا يجاريه فيها أحد. ومن القيم المتصلة بالحرب والتي يستعرضها الشعراء و يتغنون بها هي قيمة التعفف أي الترفع على الحصول على الغنائم من هذه المعارك المشهودة فيكفي الشاعر فخرا حمايته لقبيلته واسترداد كرامتها وتحقيق النصر لها دون أن تكون غايته غنيمة مادية وقد تبينا ذلك مثلا من خلال قول عنتره يخاطب حبيبتة داعيا إياها إلى أن تسأل الخيل عن بطولاته وأخلاقه فقال:

يخبرك من شهد الواقعة أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

القيم أيام السلم:

- عراقة النسب:

إنّ العرب يتغنون بأصولهم و أنسابهم مما يجعل الفخر يتحول من فخر ذاتي إلى فخر جماعي وقبلي فترى الشاعر يبرز انحداره من عائلة عريقة مرموقة مشهود لها تاريخيا بالسيادة والقيادة كما هو الحال في قول طرفة :

و إن يلتق الحي جميع تلاقني إلى ذروة البيت الشريف المصمّد

- القيادة والمنزلة الرفيعة في القبيلة :

يتغنى الشعراء الجاهليون بمكانتهم الهامة في القبيلة فهم يحضرون مجالس الأسياد و الشيوخ التي تكون فيها المشورة والتدبير للمسائل الهامة و حضور هذه اللقاءات علامة على المنزلة التي يتبوّأها ذلك الفارس وقد تحدث طرفة بن العبد عن ذلك في قوله:

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني و إن تقتنصني في الحوانيت تصطد

- قيمة الكرم:

يعتبر الكرم من أهم القيم التي يتحلى بها العرب الجاهليون والتي لم ينقطعوا عن التغني بها في أشعارهم و أبرز مثال على ذلك حاتم الطائي الذي يعتبر من أشهر كرماء العرب والذي يتفنن في كرمه وفي التعبير عن هذه الخلّة التي يتصف بها فيقول :

و أبرز قدرتي بالفضاء قليلها يرى غير مضمون به وكثيرها

أشاور نفس الجود حنى تطيعني و أترك نفس البخل لا أستشيرها

فالشاعر يبرز تفوقه في الكرم و تجنده ليكون مكرما للناس وهو في ذلك يصدر عن منظومة قيمية تقدم القيم المعنوية على القيم المادية وهذه القيمة تحدث عنها عنتره فقال :

و إذا صحت فما أقصر عن ندي و كما علمت شمائي و تكزّمي

فالعرب يركزون كثيرا على هذه القيمة وهي صفة أساسية في الفتى الجاهلي و من المعاني التي قد يهجي بها شخص هو بخله و يعد ذلك مصدر عار عند العرب القدماء.

-قيمة حسن الجوار:

إن حسن الجوار من بين ما كان الجاهليون يفخرون به و من المواضع التي نرصد فيها هذا الأمر قول حاتم الطائي عن ابن جاره الذي قد يحتاج إلى طعام في غياب والده فيكون حاتم هو الراعي لبيت جاره و يقول عن ذلك :

فلا و أبيك ما يظل ابن جارتي يطوف حوالي قدرنا ما يطورها

فتقديم المساعدة للجار يعتبر أمرا مهما لأن البيئة قد تجعل الإنسان في حاجة إلى غيره والأيام دول.



-قيمة التعفف: (صون الأعراض)

لقد ركز العرب القدامي على مسألة حفظ العرض والشرف لأن الأمر على درجة كبيرة من الخطورة وقد تغنى الطائي بصونه عرض زوجته جاره فيقول:

وما تشكيني جارتني غير أنني إذا غاب عنها بعلمها لا أزورها
سبيلها خيرى ويرجع بعلمها إليها ولم تقصر علي ستورها

-شرب الخمرة : الإقبال على الحياة

و من مظاهر الفخر في الشعر الجاهلي التغني بشرب الخمرة كما هو الحال في قول عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

و يعتبر ذلك مظهرا من مظاهر التعبير عن السيادة والثراء كما أن هذا يعد تعبيراً عن سعي الجاهليين إلى العبّ من لذائذ الحياة مقاومة للموت و لمصاعب الحياة ويظهر ذلك في تعليل طرفة:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

فتتحول الخمرة إلى مقاوم للموت .

ومما يترجم رمزية الخمرة و تدليلها على الثراء قول الأعشى:

وكأس شربت على لذة و أخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أنني امرؤ أتيت المعيشة من بابها .

+++++

الموضوع:

لقد تميّز الشعر الجاهلي بتنوّع في مستوى الأغراض و الظواهر الفنية إلا أنّ شعراء الجاهلية قد اتّفقوا في رسم صورة عن الحياة التي كان يعيشها الجاهليون.

- الحديث عن تنوع أغراض الشعر الجاهلي / تنوع الظواهر الفنية
 - الشعر الجاهلي يتضمن رسماً لمعالم الحياة في الجاهلية
- ما هي الأفكار التي يمكن استعراضها في العنصر الأول ؟

نتبين في الشعر الجاهلي عديد الملامح المميزة و منها التنوع في مستوى الأغراض و الغرض هو المعنى الأساسي الذي اختاره الشاعر لقصيدته و جعل بقية المعاني الثانوية تدور في فلك هذا المعنى المركزي و تتميز الأغراض بخصوصيات هي الطابع الفريد لغرض ما و من بين أهم أغراض الشعر الجاهلي غرض الفخر وهو أن يفتخر الشاعر بنفسه أو بالقبيلة التي ينتمي إليها كما أن المدح مميز في الشعر العربي الجاهلي وهو أن يتوجه الشاعر إلى ملك أو سيد بقصيدة يذكر فيها محاسن هذا المخاطب . و الرثاء كذلك من أغراض الشعر غير أنه يتعلق بشخص قد توفي فيغلب على هذا الغرض طابع الشكوى و البكاء ، و تعتبر الحكمة من بين أغراض الشعر الجاهلي إذ يعتمد الشاعر إلى تأمل الكون و يخلص إلى قواعد كونية و سلوكية هي نتيجة تجربته في الحياة ووصفة الوجود الفاعل و الإيجابي في هذه الدنيا ...



و من مظاهر التنوع في الشعر الجاهلي ما نتبينه في مستوى بنية القصيدة الجاهلية فنرى أن البنية النموذجية تقوم على المقطع الاستهلاكي و يتضمن الوقوف على الأطلال و وصف الرحلة والراحلة و النسب كذلك ، غير أننا قد نجد أن القصيدة المدحية الجاهلية قد تنطلق بالهجوم على الغرض فلا وجود فيها لهذا المقطع الاستهلاكي بل نجد الشاعر ينطلق مباشرة بالفخر كما هو الحال في قصيدة حاتم الطائي التي بدأها بقوله :

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه و شقت على الضيف الضعيف عقورها

فإني جبان الكلب بيتي موطاً أجود إذا ما النفس شح ضميرها

كما أنّ القصيدة الرثائية تتميز باختلاف بنيتها إذ تقوم أساساً على ثلاثية هي عنصر التفجع وفيه إظهار للحزن والبكاء ثم عنصر التأبين وفيه ذكر لمحاسن الميت و عنصر الدعوة إلى الصبر والسلاة و فيه دعوة للنفس إلى الكف عن الحزن. و الملاحظ أن هذه البنية الثلاثية قد يطرأ عليها التغيير كأن يغيب عنصر الدعوة إلى الصبر نتيجة إلحاح على البقاء حزينا بسبب هول الفاجعة أو نجد عودة إلى تأبين الميت كما فعلت الخنساء في قصيدتها و مطلعها:

يا عين فيضي بدمع منك مغزار و ابكي لصخر بدمع منك مدرار

فقد بدأت الشاعرة بالبكاء ثم انتقلت إلى تأبين الميت لتعود في قسم ثالث إلى البكاء من جديد و تختتم في القسم الرابع بالعودة إلى التأبين.

كما أن قصائد الجاهليين تتميز بتنوع القصص فيها فنرى الشعراء يضمّنون قصائدهم قصصاً حربياً ينقلون فيها تفاصيل المعارك التي خاضوها كما هو الشأن بالنسبة إلى عنترة بن شداد الذي يقول عن خوضه إحدى المعارك :

ولقد حفظت وصاة عمي في الضحى إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

في غمرة الحرب التي لا يتقي غمراتها الأبطال غير تغمغم

كما أن الشعر الجاهلي يتضمن قصصاً غزلياً ينقل في أعطافه الشاعر تفاصيل موقف جمعه بحبيبته و مثال ذلك ما ورد في معلقة امرئ القيس فقال:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة قالت لك الويلات إنك مرجلي

فنتبين مما سبق ذكره مظاهر التنوع في الشعر الجاهلي فهو لم يكتب في شكل طراز واحد بل كان التنوع الذي هو سر من أسرار جمالية الشعر وهو الضامن لجلب المتلقي و عطف الأسماع إلى هؤلاء الشعراء.

+ تجليات الواقع في الشعر الجاهلي:

- بنية القصيدة الجاهلية التي تنطلق بالقسم الاستهلاكي ثم يكون التخلص إلى الغرض هي نتيجة استجابة للطبيعة الثقافية لتلك البيئة إذ تمثل المشافهة عنصراً مميزاً للبيئة الجاهلية.
- الوقوف على الأطلال و وصف الرحلة والراحلة يمثلان عنصرين يستمد الشعراء تفاصيلهما من البيئة التي يعيش فيها الجاهليون مترحلين من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء و عن العشب .



- الجانب السوداوي في الشعر الجاهلي من جهة و البحث عن اللذة في الخمرة والمرأة مثلا تمثل التفاعل مع البيئة التي يخوض فيها الفتى الجاهلي صراعا ضد الموت و سلاحه سعيه المحموم إلى العب من لذائذ الحياة.
- القيم التي يتغنى بها شعراء الجاهلية هي المحتفى بها في العصر الجاهلي وهي نتيجة تفاعل مع واقع البيئة.

